جامعة دمياط
كلية تربية
قسم علم النفس

د/ أحمد حجازي

مادة/ الأنثروبولوجيا الاجتماعية

المحاضرة الرابعة

الفرقة الأولي

الفصل السادس: القرابة والزواج:

1- الاتجاه التطوري في دراسة القرابة.

2- الاتجاه البنائي الوظيفي في دراسة القرابة.

مقدمة:

ولقد اختلفت الاتجاهات النظرية التي اعتمد عليها الأنثروبولوجيون في بحوثهم ودراساتهم للقرابة. ويرجع ذلك بالطبع إلي الجو الفكري العام السائد أثناء إجراء البحوث والدراسات، فقد ظهرت الاتجاه التطوري في دراسة القرابة في القرن التاسع عشر، ثم الاتجاه البنائي الوظيفي الذي بدأ يتبلور منذ العشرينات من القرن العشرين فأكد الاهتمام بدراسة القرابة في سياقها الاجتماعي وترابطها العضوي وتساندها الوظيفي مع بقية النظم والأنساق الاجتماعية.

وعلي أية حال، ضم الاتجاه التطوري آراءا مختلفة في معالجة القرابة والنسب والزواج كما سيتضح لنا من الصفحات التالية لدي أراء مورجان وباخوفن وماكليناان. أما الاتجاه البنائي الوظيفي فقد اهتم بالنسب وأنواعه وصور الزواج المختلفة وأنواع العائلة والسلطة داخل العائلة، والإقامة والمهر.

أولاً: الاتجاه التطوري في دراسة القرابة:

فمن المعروف أن التطوريين الاجتماعيين حاولوا تتبع أصل الأنساق القرابية ونشأتها الأولي وتطورها، وذلك بمقتضي النزعة التطورية التي تحاول بوجه عام أن ترسم مراحل متتالية ينتقل المجتمع البشري من مرحلة إلي أخرى أكثر تقدماً ورقياً. وفي العادة، فقد حددوا عدداً محدوداً من هذه المراحل مع العلم بأن أصحاب هذه النزعة يتخذون المجتمع الغربي في ذلك الحين (القرن التاسع عشر) معياراً يحددون بمقتضاه التحضر والتقدم والرقي علي أساس أنه يمثل أعلي وأرقي مرحلة وصل إليها المجتمع البشري. ولذلك زعم التطوريون أن زواج الجماعة كان المرحلة الثانية بعد مرحلة الإباحية الجنسية مع العلم بأن البعض منهم يعترض علي ذلك. وتليها مرحلة تعدد الزواج إما زوجة وعدة أزواج أو زوج وعدة زوجات، ثم أخيراً مرحلة الزواج الأحادي أي زوج وزوجة فقط. أما بالنسبة للعلاقات القرابية أو ما يعرف بالنسب فقد أفترض التطوريون أن النسب الأحادي مرحلة وجدت قبل النسب الثنائي. وزعم البعض أن النسب الأحادي الأمومي قد ظهر قبل ظهور النسب الأحادي الأبوي، في حين زعم البعض الآخر العكس، وهذا دليل علي أن هذه آراء شخصية لا تقوم علي أدلة يقينية أو حسب تعبير راد كليف براون تقوم علي التاريخ الظني أو التخميني، وهو ما أوقع علماء القرن التاسع عشر في خطأ التأويل الظني.

وعلي أية حال، فإن كل ما سبق سنتعرف عليه من خلال آراء لويس مورجان وباخوفن وماكلينان وهنري مين.

1 – نظرية لويس هنري مورجان:

تتلخص نظرية مورجان في أنه كان يري المجتمع البشري في البداية عبارة عن زمرة اجتماعية بسيطة تعيش في حالة بدائية لا تحكمها ضوابط أو قوانين أو قواعد خلقية، وبذلك كان أفرادها يحيون حياة إباحية متحررة. ويسمي مورجان هذه المرحلة بمرحلة الإباحية الجنسية Promiscuityحيث كان لكل فرد في المجتمع أن يتصل بأي امرأة يشاء بغير قيود. وقد خضعت هذه المرحلة البدائية لكثير من عوامل التغير بتقدم الإنسانية ونشأ عن هذه التغيرات ظهور أشكال القرابة المختلفة في مراحل تالية من التاريخ بحيث كان كل شكل من هذه الأشكال يؤدي إلي الشكل التالي الأكثر منه تقدماً ورقياً.

2 – باخوفن:

وضع باخوفن نظرية "حق الأم"، وتعد من أهم نظريات القرن التاسع عشر، وقد لعبت دوراً في توجيه الفكر الاجتماعي. وقد افترضت تلك النظرية أن الشكل الأول الطبيعي للعائلة هو العائلة الأموية، وأن نسق القرابة عن طريق النساء كان أسبق في الظهور علي نسق القرابة الأبوي نظراً لانتساب الأبناء إلي أمهاتهم، مما أضفي علي المرأة مكانة اجتماعية واقتصادية وسياسية أعلي بكثير من مكانة ومركز الرجل. وقد أستند في نظريته عن سبق الانتماء إلي الأم إلي أن طبيعة الأشياء تحتم ذلك. فالقانون الطبيعي يقضي بأهمية الأم بينما لم تظهر سيطرة الأب وحقوقه إلا بعد ذلك بكثير. ذلك أن الإنسانية في بدايتها تحتاج إلي كثير من الرعاية والعناية وهو ما يمكن للمرأة توفيره من دون الرجل، كما أن المرأة بطبيعتها أقدر من الرجل علي توفير السلام وتحقيق المحبة وبذر بذور الخير. ولكن إلي جانب هذه الآراء الشخصية يستشهد باخوفن في التدليل علي صحة نظريته بكثير من الشواهد والأدلة التي يستمدها علي وجه الخصوص من العصور الكلاسيكية. وكذلك من بعض المجتمعات البدائية التي كانت معروفة في ذلك الحين.

3 – ماكلينان:

تمكن ماكلينان من الوصول إلي نتائج مشابهة إلي حد كبير للنتائج التي توصل إليها باخوفن. ولكن ماكلينان اهتم في الأساس بالبحث عن أصل الزواج الداخلي والزواج الخارجي .وقد أفلح في وضع نظريته في قالب نظري متماسك، وقد بدأ من افتراض أن الإنسانية في مرحلتها الأولي كانت تعيش في حالة فوضي خلقية وإباحية جنسية مطلقة، وكانت الجماعة القبلية القديمة تعيش في حالة حرب دائمة واغارات مستمرة ومتبادلة. وقد استلزمت الحرب منهم التخلص من البنات اللاتي كن يعتبرن عاملاً معوقاً في الحرب من ناحية، وخشية وقوعهن في الأسر من ناحية أخرى. وبذلك ظهر وأد البنات في تلك المجتمعات القبلية المتحاربة. إلا أن وأد البنات خلق أمام هذه القبائل صعوبة بالغة فيما يتعلق بالزواج حين تقدمت المجتمعات الإنسانية، وتخلصت من حالة الإباحية الأولي، فلم يكن لدي أي جماعة منها ما يكفي لزواج جميع أفرادها البالغين من الذكور، وعلي ذلك كان النظام السائد هو سرقة النساء وخطفهن بالقوة في أول الأمر. وظل الأمر كذلك حتي تقدمت الإنسانية مرة أخرى وأصبحت العلاقات بين الجماعات المختلفة أقل عنفاً وأكثر مودة، ومع ذلك ظل الرجل يتزوج من خارج جماعته مما يعني أن الزواج الخارجي كان أسبق في الظهور علي الزواج الداخلي، كما ظل خطف الزوجة قائماً ولكنه أصبح مجرد عملية رمزية فقط تشير في الوقت نفسه إلي النظام المتبع في الماضي.

ثانياً: الاتجاه البنائي الوظيفي في دراسة القرابة:

لقد أثري أصحاب الاتجاه البنائي الوظيفي دراسات القرابة من أمثال راد كليف براون وايفانز بريتشارد ومايرفورتس، وذلك لأنه عالجوا مسائل مثل النسب وأنواعه والزواج وأنواعه والإقامة أو السكني عند الزواج وشكل السلطة داخل العائلة وغيرها من المسائل.

1 – نسق القرابة الاجتماعي والتخلص من المعنى البيولوجي:

وبذلك فإن القرابة تعالج علي أنها نظام اجتماعي بحت ينظم العلاقات بين أفراد معينين في المجتمع يعرفون بأنهم أقارب، وحتى وأن لم توجد بينهم صلات بيولوجية. وقد اشار مالينوفيسكي إلي ذلك في دراسته لجزر التروبرياند ذات النسب الأمومي، حيث يعتقد التروبرياندين أن هناك علاقة وثيقة بين عالم الأرواح وعملية إنجاب الأطفال، فالحمل ينتج من دخول أرواح الأسلاف في رحم المرأة، وأن الزواج والمعاشرة هما الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها إزالة العوائق التي تعترض سبيل تلك الأرواح دون أن يكون لهما هما نفسهما دخل في عملية الإنجاب.

2 – أنواع الجماعات القرابية:

ولكى يتم تعيين أقارب شخص ما فلابد لنا من رد نسبه إلي سلف أعلي قد يعود إلي عدة أجيال مضت، وكلما كان هذا السلف بعيداً في الماضي كلما اتسعت دائرة الأقارب بالنسبة إلي هذا الشخص نفسه. ويذهب ميردوك إلي أن نظام القرابة نظام متسق من العلاقات يرتبط فيه الأفراد بعضهم ببعض بشبكة من الروابط والصلات، وعن طريق هذه العلاقات والروابط تظهر الجماعات القرابية.

أ – الأسرة الصغيرة (النووية):

والمقصود بالأسرة هنا العائلة التي تتألف من الأبوين (الزوجين) والأولاد (الأخوة والأخوات) غير المتزوجين.

ب – العائلة المركبة:

هي إحدى صور العائلة المعقدة، وتوجد حيث يوجد تعدد الزوجات، كما هو الحال في كثير من المجتمعات البسيطة والمجتمع الإسلامي والمجتمعات الشرقية، وهي تتألف من الرجل وزوجاته وأطفاله منهن.

جـ - العائلة الممتدة:

هي الصورة الثانية للعائلة المعقدة، وتظهر العائلة الممتدة حين يبقي الابن عضواً في عائلة أبيه حتى بعد زواجه وإنجابه أطفالاً.

د – البدنة:

هي مجموعة من العائلات المعقدة المتماسكة التي يمكن أن تصبح هي ذاتها بدنات إن تهيأت لها الظروف المساعدة بحيث تنمو وتكبر وتزداد في الحجم. ويتألف بعض البدنات من أربعة أو خمسة أجيال فقط بينما يصل عمق بعض البدنات الأخرى إلي عشرة أجيال أو أكثر.

هـ - العشيرة Clan:

هي الجماعة التي تقوم علي أساس روابط الانتساب التي ترجع إلي سلف (جد) مشترك بعيد، لكنها لا تعرف علي وجه الدقة درجة علاقتها بهذا السلف أو هؤلاء الأسلاف.

3 – صور النسب:

اهتم أصحاب الاتجاه البنائى الوظيفي أو أصحاب نظرية النسب بتحديد صور النسب. وذلك لارتكاز القرابة علي النسب، وأن اكتساب العضوية يتم من خلال النسب. وقد أوضحوا أن هناك ثلاثة صور من النسب نوجزها فيما يلي:

أ – الانتساب في خط واحد يقتضي تتبع النسب عن طريق أحد الأبوين فقط (الأب أو الأم) في خط واحد مباشر

وينقسم هذا إلي قسمين هما:

1 – نظام النسب الأبوي:

يأخذ في الاعتبار كل الأصول والفروع والحواشي من الذكور (الأب وأبو الأب وأبو أب الأب من ناحية والأبناء وأبناؤهم من ناحية ثانية ثم العمة وحدها والأعمام وأبناؤهم من الناحية الثالثة.

2 – نظام النسب الأمومي:

يأخذ في الاعتبار الأصول والفروع والحواشي من النساء فقط (الأم وأم الأم من ناحية، والابنة وأولادها من ناحية ثانية ثم الخال وحده والخالات وأبناؤهن وبناتهن من الناحية الثالثة).

ب – نظام النسب الثنائي:

يتتبع القرابة من الجانبين علي السواء بغض النظر عن اختلافات الجنس، وبذلك يؤخذ في الاعتبار الأب والأم في المحل الأول، ثم أبو الأب وأم الأب وأبو الأم وأم الأم في المحل الثاني، مع التعريف علي كل الفروع والحواشي مما يؤدي إلي معرفة شجرة النسب بكل تفاصيلها من الجانبين.

جـ - نظام النسب المزدوج:

يقوم هذا النظام في أساسه علي محاولة الجمع والمزاوجة بين النسب الأبوي والنسب الأمومي بطريقة أكثر دقة وأكثر تحديداً مما عليه الحال في نظام النسب الثنائي، إذ يرد النسب من ناحية الأب في خط الذكور فقط كما هو الحال في نظام النسب الأبوي، ومن ناحية الأم في خط الإناث فقط كما هو الحال في نظام النسب الأمومي مع إغفال بقية الفروع.

4 – المصاهرة (الزواج):

أ – الزواج التبادلي:

والمقصود به بالمعني الدقيق أن يتزوج رجل من عائلة غير عائلته علي أن يزوج أخته أو إحدى قريباته العاصبات لأحد أقارب زوجته العاصبين والشكل الأكثر شيوعاً لهذا الزواج هو أن يعطي الرجل أخته لشقيق زوجته.

ب – الزواج بين أبناء العمومة أو أبناء الخؤولة المتوازية:

أي الزواج بين أبناء الأعمام من ناحية أو بين أبناء الخالات.

جـ - الزواج بين أبناء العمومة أو أبناء الخؤولة المتقاطعة:

أي زواج الرجل وابنة خاله أو ابنة عمته.

د – تعدد الزواج من الأخوات أو الجمع بين الأخوات:

وهو نظام شائع في كثير من المجتمعات البسيطة في أستراليا وأفريقيا. فأهالي أستراليا يعتبرون زواج الرجل من الأختين في وقت واحد أفضل أشكال الزواج بل إنه الزواج المثالي

هـ - الزواج الليفيراتي:

أي زواج الرجل من أرملة أخيه المتوفي.

و – الزواج السوروراتي:

أي زواج الرجل الأرمل من إحدى أخوات زوجته المتوفاة

ي – زواج الشبح:

أوضح ايفانز ريتشارد أن هذا الشكل من الزواج يسود بين قبائل النوير، فإذا ما توفي رجل دون أن يكون له وريث شرعي من الذكور، فإن أحد أقاربه مثل الأخ أو ابن الأخ ينبغي عليه أن يتزوج فتاة باسم الشخص المتوفى>

ن – زواج المرأة بالمرأة :

يسود هذا الشكل من الزواج بين قبائل النوير أيضاً، حيث قد ترغب المرأة في مجتمع النوير أن تلعب دور الرجل في الحياة الاجتماعية فتختار إحدى الفتيات لتتزوجها وتقدم لأسرتها المهر اللازم.

5 – المهر :

ويمكن تعريف المهر علي وجه التقريب بأنه قيمة تدفع عند الزواج يقدمها راغب في الزواج، أو في الغالب الأعم أسرته إلي أسرة العروس. ويؤدي هذا المهر المدفوع عدة وظائف يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولاً: أن المهر أياً كان مقداره أو نوعه، يعتبر في كل المجتمعات التقليدية التي تمارسه هو الوسيلة الوحيدة لقيام علاقة زوجية شرعية يعترف بها المجتمع

ثانياً: قد يمكن اعتبار المهر نوعاً من التعويض الذي يقدم لعائلة الزوجة عن تنازلها لعائلة الزوج عن حقوقهم علي ابنتهم.

ثالثاً: فإن المهر الواحد الذي يدفع في الأصل لإتمام زيجة واحدة سرعان ما ينتقل من عائلة لأخرى ومن عشيرة لأخرى لإتمام زيجات أخرى عديدة.

6 – السكن أو الإقامة عند الزواج:

ترتبط الإقامة بنوع النسب ما إذا كان أبوياً أو أمومياً. ويمكن أن يكون المسكن أبوياً عند أهل الزوج، أو قريباً في منزل خاص، أي زوجي. وقد يكون أمومياً، أي عند أم الزوجة، أو هو ملاصق لأهل الزوجة، أو خالي، أي عند الخال سواء كان من جهة الزوج أو الزوجة. وأخيراً يمكن أن يكون مستقلاً عندما يسكن الزوجان في مكان جديد، بعيداً عن أهلهما.

أسئلة إسترشادية:

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة.

وزعم البعض أن النسب الأحادي الأمومي قد ظهر قبل ظهور النسب الأحادي الأبوي (✔)

السؤال الثاني: اذكر المصطلح العلمي

هي إحدى صور العائلة المعقدة، وتوجد حيث يوجد تعدد الزوجات، كما هو الحال في كثير من المجتمعات البسيطة والمجتمع الإسلامي والمجتمعات الشرقية، وهي تتألف من الرجل وزوجاته وأطفاله منهن. (العائلة المركبة)

السؤال الرابع : ناقش ما يلي:

اذكر أنواع الجماعات القرابية؟